الكفاية اللغوية العربية في الكتابة المعاصرة
نماذج تحليلية من كتابات الطلبة الجامعيين

د. حنان إسماعيل عمايرة
الجامعة الأردنية

ملخص: عانت العربية وما تزال من تبعات الازدواجية والثنائية اللغوية عليها، وقد ظلت الدراسات تواكب هذه التبعات وتجتهد في رصد تأثيراتها تحليلاً وتصويباً وتوجيهاً... إلاّ أن هيمنتها على وسائل التواصل الإلكتروني في السنوات القليلة الأخيرة، حوّل النظرة إلى هذه التبعات ليعدها آثاراً فادحة الخطورة على الهوية اللغوية، فقد آل الأمر إلى تراجع الكفاية اللغوية عموماً وتوظيف أساليب وتراكيب غاية في الركاكة، إلى درجة أن اللغة فقدت في كثير من صور الاستعمال الملمح الأهم لها: الإفهام وتوصيل الرسالة الكلامية، وقد اتخذ البحث من هذه المسألة المهمة موضوعاً له، ساعياً إلى تبين الفروق النوعية التي آل إليها الخطأ.

وقد رصد البحث نماذج تمثل مستوى الكتابة المعاصر لطلبة جامعيين ، وبدا أن الأهمية المتزايدة لكل من الثنائية والازدواجية – واجتياح الكتابة بالعامية والإنجليزية في وسائل الاتصال الإلكتروني كان عاملاً عالي الأهمية في إحداث فجوة حقيقية بين الكاتب ولغته، وقد تجاوزت الخطورة حدها بأن باتت في من الصياغات تخل إخلالا واضحاً بالمعنى ولا تؤدي رسالتها الإبلاغية بالحد الأدنى المقبول من السلامة اللغوية.

كلمات مفتاحية :كفاية ، تواصل ، خطأ لغوي

Abstract

Arabic Language suffered from Diglossia and bilingualism, studies followed their implication and influences, but their dominance has been increasing in last year’s specially in Electronic communication, the look to these implication is considered as dangerous influence on language identification new structures and week styles appeared.

This study aimed to show the big quality differences in errors, that became similar to Non- Arabic speakers errors, also the study shows that the dominance of Diglossia and Bilingualism is increasing, so areal gap happened between writers and their Language, the main problem is that the Language missed their writing its main target: connection.

Key words: content , communication , error.

مقدمة: تسعى اللغة بما ينتظمها من مهارات لغوية إلى تحقيق غايتها الأولى: التواصل البشري، وعلى الرغم من أن الهدف يبدو واضحاً: الإبلاغ، إلاّ أن مستوى الرسائل الإبلاغية جد متفاوت، فبعضه ناصع البيان يحقق المراد مقروناً بحسن التّأتي ودقة الصياغة، وبعضه الآخر يتذبذب بين تعبير موفق مُبْلغ وهنات تقود المعنى قياداً عسيراً ، وأما سائر ذلك فيكد فيه المتلقي ليقتنص المعنى، أو ليحزره، فهو يتعثر تارة بتركيب مفضٍ إلى غير معنى، وتارة أخرى يصطدم بأسلوب مغاير للذوق اللغوي السليم، ليجد نفسه في نهاية المطاف أمام رسالة نكرة يتمنى الخلاص سريعاً منها، وعلى الرغم من أن نمو اللغة وتغير كثير من ملامحها يعد سيراً طبيعياً تمليه ظروفها المستجدة في كل مرحلة من عمرها، إلاّ أن لهذا النمو معاييره وضوابطه، التي تهذّبه وتوجهه، فاللغة – كما يقول جرجي زيدان:" سارت سير الكائنات الحية في الدثور والتجدد المعبر عنه بالنمو الحيوي، على أننا لا نقول في هذا الإطلاق نحو ما يقوله الإفرنج في لغاتهم، لأن شأننا في لغتنا غير شؤونهم في لغاتهم، فلا بد لنا مع هذا الإطلاق من الرجوع إلى القواعد العامة والروابط الأساسية فلا نفسد اللغة بألفاظ العامة وتراكيبهم ولا نكثر من الدخيل"[(1)].

([1]) زيدان، جرجي: اللغة العربية كائن حي، مراجعة مراد كامل، دار الهلال: 139.

وهنا ينبغي السير في خط متيقظ موفق بين مكونين تواصليين مهمين: اللغة والكلام، والفرق بين سلوكيهما هو ما ذكره تمام حسان:" اللغة ومنها الأنظمة ساكنة صامتة تنشد لنفسها الاطرد وتسعى إلى الاطلاق شأنها شان كل نظام آخر، والكلام تطبيق على نظام اللغة، وهو ديناميكي متحرك شأنه شأن كل تطبيق على أي نظام"(1).

ومن بين المهارات اللغوية تمتاز الكتابة بأنها تستلزم من المرسل(الكاتب) تحقيق جهد إضافي على غيرها، فالمتحدث يمتلك من عناصر الإيماء الجسدي والإرشادي وتنغيم الصوت ونبره بما يعينه على التبليغ، كما أن حضور المتلقي وردة فعله تُسهم في إدارة اللغة حسب الهدف الذي يتوجّه إليه، فيكرر أو يؤكد ويقدم ويؤخر ويقتضب ويطيل حسب مقتضى الحال.....وليس الأمر ذلك في الكتابة، إذ يفترض أن يعي الكاتب أحوالاً متوقعة لقارئيه أثناء أدائه هذه المهارة، فيتنبأ بغموض معنى ويلتفت إلى ضرورة الإيضاح والإسهاب هنا والحذف هناك، وعليه أن يضاعف العناية بلغته، فهي وحدها وسيطه للتبليغ عن مراده، فهو يفتقر إلى كل ما كان متهيئا للمتحدث من عناصر مساعدة....فالمادة المكتوبة هي سفير لكاتبها في حال غيابه، وهو من يختار هيئة هذا السفير وسمته بحيث يمثله دون إخلال.

ولا يقاس المستوى اللغوي وكفايته بمعيار المتخصصين ونخبة الدراسين، فهذا معيار خاص، وأما قياس المستوى العام كمستوى الجامعيين من تخصصات مختلفة فيعد مؤشراً أكثر عمومية وواقعية، فطلبة الجامعات من تخصصات أدبية وعلمية مختلفة يعدون ممن يستخدمون اللغة بصورة عامة فيما يمكن أن يتصل بدراستهم أو بمقالة يقرأونها أو يكتبونها ، وهو في موقع بين المتمكن المتخصص والمبتدئ الضعيف. وقد نوهت دراسات عديدة إلى الثغرة المسؤولة عن انعدام المستوى المقبول في أداء العربية، وهي تنم عن تجاهل أهمية اللغة وكونها وعاء الحضارة ومرآة القيم ودليل الحياة، بينما فهمت ذلك الشعوب الأوروبية- أفراداً وأصحاب قرار- فاعتنوا بلغاتهم.(2)

وعلى الرغم من أن الكتابة الفصحى هو الهدف والطموح الذي تدعو إليه الدراسات وينوه به اللغويون، إلا أن الرؤية الواقعية توصف بالاستيعاب والتسمح، فيما تتمايز فيه مستويات عديدة: فصحى التراث، و فصحى العصر، وعامية المثقفين، وعامية المتنورين، وعامية الأميين(3).

ويعتمد عدد من الجامعات الأردنية تدريس متطلبين في اللغة العربية لطلبة الجامعات، وهما متطلبان تأسيسيان في اللغة، يُدرسان من خلال منهاج ينهض بالمهارات اللغوية الأربع.

وقد اختارت هذه الدراسة النظر في مهارة الكتابة، بتحليل عدد من مقالات الطلبة المكتوبة في المساق الأول ومثلها لطلبة المساق الثاني (ستون مقالة مناصفة بين المساقين) والمقصود بالمساق الأول ذلك المتطلب الجامعي الإجباري الذي يدرس للطلبة بعد عدم اجتيازهم امتحاناً في الكفاية اللغوية، وأما المساق الثاني فيدرسه طلبة الجامعة جميعهم، سواء أجتازوا الامتحان أم لم يجتازوه. ومما هو ظاهر أن طلبة المساق الأول يميل مستواهم إلى الضعف كونهم لم يجتازوا امتحان المستوى، وأما المساق الثاني فيمثله مستوى أعلى من الأول للطلبة، إذ إن بعضهم كان قد نجح في امتحان الكفاية وبقيتهم درس المساق الأول فتقدم عمّا كان عليه، أو هكذا يُفترض.

وقد اهتمت دراسات سابقة بشأن مستوى الأداء اللغوي بالعربية وطبيعة الأخطاء التي تشوبه وأسبابها وتشخيصها مؤخراً، وحاولت النظر في واقع الأداء اللغوي عامة والكتابي منه خاصة، بعيداً عن سياسة قل ولا تقل، برصدها رصد الأنماط الأسلوبية واللغوية المخالفة للنهج اللغوي القويم، وربط هذا الخروج مع ما أورثته ثورة الإنترنت واكتساح الكتابة عبر مواقع التواصل اللغوي بالعامية والإنجليزية، فيما يمكن أن يبرر لهذه الدراسة موضوعها، إذ إن مسألة الخطأ اللغوي قديمة قدم استعمال اللغة، ولكن نمط الخطأ وحجمه وصورته متباينة وفق زمانه، وما تشهده العربية في سنواتنا الأخيرة

---

(1) حسان، تمام: اللغة العربية مبناها ومعناها، دار الثقافة، المغرب، الدار البيضاء: 262.

(2) الطاهر ناعوس، يحيى: اللغة العربية وتحديات الازدواجية الواقع والحلول، شبكة الألوكة ، www.alukah.net كتبت بتاريخ 2014/3/18.

(3) نصار(1984)، تركي: اللغة العربية ووسائل الإعلام، ندوة الازدواجية في اللغة العربية، مجمع اللغة العربية الأردني: 19

يلفت النظر إلى تأثيرات أشد كماً ونوعاً، ولعل الباعث إلى رصد هذه التأثيرات في لون لغوي وتعبيري حيوي: الكتابة – هو ما لحظته الباحثة خلال خبرتها التدريسية الممتدة لأكثر من خمسة عشر عاماً، من تفاوت لافت بين مستوى الطلبة سابقاً وحالياً، والتراجع المتسارع في الكفايات اللغوية الكتابية، لدرجة أن بعض التجاوزات في الأساليب والتراكيب اللغوية وصل إلى صورة يتوهم معها القارئ أن الكاتب غير عربي، فكتابته إلى غير الناطقين بها أقرب، وهذا ما دفع الدراسة إلى تتبع أنماط من الكتابة المؤداة من طلبة الجامعة باختلاف تخصصاتهم وتوصيف محتواها اللغوي.

تشير الدراسات إلى أن 88% من معطيات الإنترنت بالإنجليزية و9% بالألمانية و2% بالفرنسية و1% موزع على بقية اللغات[1]، وهنالك تأثيرات سلبية على اللغة جراء النشر الإلكتروني أحياناً تظهر من خلال مشكلات الصرف والنحو في اللغة، كون العربية دخيلة على لغات البرمجة، عدا عن الحد من جماليات اللغة العربية[2].

الدراسات السابقة: ومن الدراسات السابقة التي لامست هذه الدراسة بحث بعنوان: صورة اللغة العربية في وسائل الإعلام والاتصال، من وضع فريق العمل في مشروع الرصد اللغوي الإعلامي، اللجنة الوطنية للنهوض باللغة العربية، عمّان، الأردن2014، وهو عمل قيم رصد فيه الباحثون أنماط الاستعمالات اللغوية في وسائل الإعلام المختلفة في الأردن، استخلاصاً وتوصيفاً.

ومنها أيضاً دراسة لعبد الجواد توفيق عمر بعنوان الواقع اللغوي في العالم العربي في ضوء هيمنة اللهجات المحلية واللغة الإنجليزية المنشورة في2014، Strategicvisions. Ecss.com، أوضح فيها الباحث الفروق الكبيرة بين العامية والفصحى في المستوى الصرفي والنحوي والاشتقاق وأنماط الجمل والنبر والإدغام و... وأشار إلى أن التغير في اللغة أمر حتمي ولكنه بحاجة إلى التوازن بين الفصحى والعامية مشيراً إلى ظاهر الابتداع اللغوي Lexical Innoviation حيث يفاجئنا الشباب بتداولات جديدة تعكس مزيداً من الهيمنة للهجة المحلية الأساسية على تباين المستوى الكتابي بين طلبة المساقين، وعلاقة ذلك بأمور شتى تسعى الدراسة إلى تبينها: الثنائية اللغوية والازدواجية والبيئة الاجتماعية والثقافية للطالب وغير ذلك.

ومنها بحث لحنان عمايرة بعنوان: الازدواجية والخطأ اللغوي، مجلة دراسات، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، عمان، مجلد 34، عدد1، 2007، وقد سلطت فيه الباحثة الضوء على الازدواجية بين العامية والفصحى وتأثيرها في الأداء اللغوي، من خلال نماذج لغوية للطلبة في الجامعة الأردنية، تلا ذلك دراسة تحليلية اهتمت بإبراز مسؤولية الازدواجية عن هذه الأخطاء بأنواعها.

هدف الدراسة: سعت هذه الدراسة إلى رصد عدد من السمات المميزة لكتابات الطلبة في كل مساق على حدة، فكان ثمة خصائص أسلوبية وتركيبية لكل منهما، وتباينت الهنات ومواطن الضعف تبايناً لافتاً سعت الدراسة إلى تبين ملامحه وتحليلها. ومبرر البحث في اتخاذ هذا المسار في التحليل والتفسير والمقارنة الإيمان بأن أولى مراحل العلاج التشخيص والتفسير، فالضعف المشاهد يصل إلى درجة صادمة من البعد عن سلامة اللغة، وهو ليس حدثاً مفاجئاً، بل هو حصيلة مراحل وأسباب، وتقويمه يتطلب الوقوف عليها ليوجه العلاج بالطريقة الملائمة، إذ لا يمكن لطبيب أن يعالج المرضى بوصفة واحدة، وإن كانوا يعانون من المرض نفسه. وكان الدافع إلى الدراسة ما صادفه الباحث من فرق بائن بين مستوى الطلبة الحالي ونظيره قبل عشر سنوات، فقد تراوح المستوى سابقاً بين ضعف وقوة وتوسط، وهذا أمر طبيعي لا خلاف عليه، ولا جدل فيه، بينما مثّل المستوى الحالي– من خلال العينة المدروسة على الأقل- نقلة جلية وتراجعاً واضحاً، فلم يبد من المقالات المقدمة ما يمكن عدُّه نموذجا جيداً للكتابة، وظل مستواها يتأرجح بين ضعف وتوسط، ولصالح الضعف. وتبدو هذه النقلة النوعية باتجاه الأسوأ مؤسفة حقاً، فهي لافتة لدرجة أن قارئ عدد من العبارات الواردة في المقالات

---

(1) القاسم(2006)، خالد بن عبدالله: العولمة وأثرها على الهوية، 29 مايو ، بحوث www.Islamtoday.net .

(2) السعدي(2012)، عبد الكريم: تنويعات لحنية على رؤى ملامح اللغة العربية، ط(1)، دمشق،:152.

يفاجأ بتصوره لوهلة أن الكاتب غير عربي، ثم يتجه إلى مقالة أخرى فيصادفه الأمر ذاته: أخطاء لم تكن لترتكب بتاتاً من قبل أي عربي، وتراكيب في غاية الركاكة تولد في نفس القارئ حيرة من أمرها... فما الذي قاد إلى مثل هذا التهالك السريع؟ وقد أشارت دراسات إلى مسؤولية المناهج الدراسية عن ضعف المستوى اللغوي للطلبة فأغلبها مبني على ملاحظات ومواد متراكمه غير منتظمة في نسق واضح متسلسل، وهي لا تنكشف انكشافاً ذاتياً يكشف عن طبيعة متميزة فهي أشبه بخليط ائتلافي من مواد تاريخية وعلمية وجغرافية و...[1].

غير أن هذه الدراسة لا تبتغي التعرض إلى مسؤولية المنهاج التعليمي عن ضعف المهارات اللغوية ولا سيما الكتابة، أهمية المنهاج ومسؤوليته عن الضعف فهي تسلط الضوء على جانب آخر من المشكلة يتعلق بالتأثير المتفاقم للازدواجية والثنائية، وخاصة أنه بات يحتل الجزء الأعظم من التواصل الكتابي في النشر الإلكتروني ووسائل التواصل الاجتماعي الإلكتروني.

الخطأ اللغوي من زوايا منهجية متباينة النظرة: وتتفاوت النظرة إلى مسألة الخطأ والصواب باختلاف النظر المنهجي، فالمسدي[2] مثلاً يعد اللحن نوعاً من التطور والتغير يصيبان اللغة، خلاف النظرة المعيارية التي تحرص على اطراد النموذج. وتبدو مسألة الصواب والخطأ جوهرية في تعليم العربية، فبالإضافة إلى النظرة التي رآها سوسير[3] من دراسة اللغة لذاتها يظل من المهم لنا أن تحافظ العربية على مهمة خالدة لها: ترابط الناطقين بها مهما باعدت بينهم الأزمان والأمكنة.

ولا تبتغي هذه الدراسة الخوض في الخلاف بين الوصفية والمعيارية في نظرتهما إلى موضوع الخطأ اللغوي، وليس من أهدافها الانضمام إلى أحد الفريقين، وينصب اهتمامها الأول على تبين بعض السمات اللغوية للكتابة العامة اليوم، منطلقة من فكرة أساسية مؤداها أن الهدف الأول من اللغة هو التواصل والتفاهم الإنساني، وعلى الرغم من أن التواصل يؤدى بدرجات متفاوتة تعتمد عوامل عديدة على رأسها الصياغة اللغوية للرسالة الكلامية، سواء أكانت شفهية أم كتابية، وهي تعد مقبولة مؤدية للغرض في كثير من الأحيان وإن شابتها الأخطاء، فما ضرورة الدراسات الباحثة في الخطأ والصواب إذاً؟ وما خطورة الخطأ؟ من المسوغ بل من اللازم الالتفات إلى الخروج على القاعدة والخطأ في اللغة، فاللغة بالنسبة للباحث موضوع دراسته، يقول تمام حسان:" اللغة بالنسبة للمتكلم معايير تراعى وبالنسبة للباحث ظواهر تلاحظ، وهي بالنسبة للمتكلم ميدان حركة وبالنسبة للباحث موضوع دراسة".[4] وتتضح الأهمية الحقيقية للخطأ في أكثر من جانب، منها أنه قد يصل كماً ونوعاً إلى ما من شأنه أن يربك الاتصال ويعيقه، ومن جانب آخر يعد فتح الباب أمام حدوث الأخطاء دون الاكتراث مفضياً إلى اختلال المرجعية اللغوية بتقادم الأجيال والأزمان، وعلى الرغم من أن الوقوع في الخطأ يشبه أن يكون ملازماً لصيقاً لأي كاتب، إلاّ أن (نوع) الكتابة و(نوع) الخطأ على درجة من الأهمية، فقد صُنف الخطأ إلى أنواع [5] وبعضها يحول دون الفهم السليم، أي يمنع اللغة من توصيل رسالتها الأساسية، وإذا كان من المختلف عليه التصدي لأنواع أخرى من الأخطاء التي تجد لها وجهاً من الصواب الضعيف أو تعد أقل فصاحة من غيرها، فإن مما لا يختلف عليه أن ما يعيق الفهم والتوصيل من الأساليب المختلة واللغة الضعيفة والخطأ الظاهر لا يمكن إسدال الستار عليه والفصحى التي ينتظر من المتعلمين اليوم امتلاك الحد الأدنى اللازم للتواصل بها ليست ضيقة منكفئة، فقد أقيمت على شيء من التعدد المقبول الذي يراعي فيه التوسع في تعدد الأوجه المستقاة من لهجات عدة.

ومن منافذ الأخطاء وأبوابها الواسعة تداخل مستوى الكتابة الفصيح بالعامي، وعلى الرغم من أن النظرة الى الكتابة بالعامية كان أمراً مستهجناً إلى أبعد غاياته إلا أن نظرة آلت إلى خلخلة في مفاهيمها وتماسكها في ما نراه من استساغة

([1]) الموسى (1984)، نهاد: مقدمة في تعليم اللغة العربية، دار العلوم للطباعة والنشر:12

([2]) المسدي (1986)، عبد السلام: اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس: 41 .

([3]) الشايب، فوزي: محاضرات في اللسانيات، ط1، وزارة الثقافة، عمان، الأردن:24.

([4]) حسان، تمام: اللغة العربية، مبناها ومعناها:32.

([5]) أبو الرب، محمد: الأخطاء اللغوية في ضوء علم اللغة التطبيقي:60.

التعبير العامي في مقام الفصيح، ولننظر في بعض ما كان يقال بحق الكتابة بالعامية قبل سنوات، ونقرنه بما آل إليه الأمر اليوم.. يقول نهاد الموسى:" وليست العامية لغة كتابة، والكتابة بها احالة وهجنة ، يحكي طه حسين أنه في النصف الأول من هذا القرن كان بعض الشباب يحاولون أن يكتبوا بالعامية ويروجوا لها ترويجاً لا ليتملقوا قراءهم بل ليبلغوا منهم مواطن الفهم والذوق والاستجابة، ولكنهم كانوا يظفرون بعكس ما كانوا يريدون، فيزّور عنهم القراء وتسخر منهم طوائف المثقفين ويضطرون إلى الرجوع عن عاميتهم إلى اللغة الفصحى"[1].

ويقول هاشم ياغي:" والكاتب الذي يودّ أن يركب رأسه ويتنكر لاستراتيجية لغتنا النضالية فيكتب بإحدى العاميات، إنما يجعل نفسه تحت رحمة فئة قليلة من فئات قسم من أوطاننا العربية"[2].

إن هذا الرأي لم يعد يجد صداه على أرض الواقع، فقد زاد(جمهور) العامية لدرجة أن كثيراً من المثقفين باتوا يتعلمونها في كتاباتهم على صفحات التواصل الإلكتروني عامة والاجتماعي منه خاصة.

ويكمن العلاج كما يشير عمايرة من عمق الإحساس بالإشكال يليه التفكير الجاد بالحل، وخاصة أنه إشكال يتصل بهوية اللغة والأمة وليس ترفاً لا يستحق عناء أمة"[3].

منهج الدراسة:اتبعت الدراسة منهجاً وصفياً تحليلاً، إذ رصدت الأساليب اللغوية الضعيفة والأخطاء في كتابات الطلبة في كلا المساقين المدرسين عن أساسيات اللغة العربية ومهاراتها الأربع، وصنُفت الملاحظات المستخلصة عن كل مساق على حدة، نظراً لتمايزها، وعلى الرغم من اشتراك المقالات المدروسة في المساقين في عدد من الأخطاء الكتابية، إلا أن الدراسة توصلت إلى افتراقهما كل بسمات تميزه.

وهذه مجموعة من الأنماط التركيبية الركيكة والأخطاء اللغوية الكتابية التي جاءت في مقالات الطلبة في المساقين اللغويين المذكورين سابقاً.

أنماط تركيبية وأخطاء لغوية لدى طلبة المساق اللغوي الأول:

نظرة في الأنماط التركيبية والأخطاء اللغوية لدى طلبة المساق اللغوي الأول (المبتدئ)

أولاً- الخلل في استعمال التعريف:ينقسم الخلل في سوء التوظيف لأداة التعريف (ال) قسمين:

الأول ينصاع لهيئة النطق في (ال) الشمسية التي تغفل اللام، ويتوهم المستخدم أنها مُسقطة في الكتابة أيضاً، فيكون النظام النطقي للأصوات قد انعكس في النظام الكتابي لها، دون الالتفات إلى عدم تطابق النظامين في حالات.ومن أمثلة ذلك كثير من الأسماء المكتوبة دون اللام، في مظهر يبدو صادماً للمتخصصين والمثقفين لغوياً، ولكنه مكرور تحفل به كتابات الطلبة الجامعيين، ومن ذلك:-

بسبب حبي لهذه <u>الغة</u>

هذا <u>اتّخصص</u> يُعلمنا

<u>اتسويق</u> تخصص مهم

بين <u>اطّلاب</u> والمدرسين

وأما القسم الآخر من الاستعمال الخطأ فهو إسقاط (ال) التعريف في الموضع الذي يتطلبه، انسياقاً وراء التسرع والتخفف والاستخفاف بهذا المقطع ما دامت الكلمة – دونه- تؤدي مجمل المعنى.

---

(1) الموسى (1984)، نهاد: الازدواجية في العربية، ندوة الازدواجية في اللغة العربية، مجمع اللغة العربية الأردني، ص90.

(2) ياغي(1984)، هاشم: عربيتنا الفصحى والمرحلة الحاضرة، ندوة الازدواجية في اللغة العربية، مجمع اللغة العربية الأردني:148.

(3) عمايرة(1984)، محمد: الازدواجية اللغوية حوار حول الظاهرة، ندوة الازدواجية في اللغة العربية، مجمع اللغة العربية الأردني، ص34.

وهذا الخلل الأخير في الاستعمال مردُّه إلى تأثير العامية، فالكتابة في وسائل التواصل الاجتماعي بالعامية لا تكترث لـ (ال) التعريف عموماً.

متى رايح عدّار؟ (الدّار)

قدمت طلب لوظيفة جديدة؟ (والمقصود قدمت طلباً للوظيفة الجديدة)

ومما لا شك فيه أن هذا الواقع الاستعمالي للغة، بالعامية ينعس في الأداء الفصيح، فالعادات الكتابية تنتقل من مستوى إلى آخر، ومن أمثلة الجمل المرصودة في كتابات الطلبة، مما أسقطت فيه ال التعريف:

ولأني لا أرى نفسي في مجال إدارة (الإدارة)

.....بدلاً من تقيُّد في مجال واحد (التقيُّد)

ولغة العربية من أجمل .... (اللغة)

كما يحصل عند تفريق بين طلاب (التفريق)

وبعكس ذلك، جاء في كتاباتهم إثبات (ال) التعريف لغير ما حاجة، كما أنّ لهذا التخصص أبواب العمل مختلفة (عمل)، وكذلك: يصعب السيطرة عليها بسبب الأعداد الطلاب الكبيرة (أعداد) بل يصل الخلط والتخبط في توظيف التعريف والتنكير مداه لدى الوقوع في أخطاء من مثل:

والذي هو الهدف الأساسي وسامي للجامعة

أما التسويق التقليدي أو تسويق إلكتروني فنوعان...

إذ لم يشكل العطف مسوغاً لمساواة المعطوف بالمعطوف عليه في التعريف، رغم جلاء المعنى وتطلبه أن يكون المعطوف معرّفاً، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على هوة بين استعمال اللغة والمستوى الصحيح المقبول.

ثانياً: ضعف التمييز بين المشتقات الصرفية واستخداماتها:

جاء في كتابات الطلبة:

لم أكن مقنعة بتخصصي (مقتنعة)

الحضارة العربية من أرقى وأجمل حضارة في عالمنا (أرقى وأجمل حضارة- من أرقى وأجمل الحضارات)

فمن الفضل النظر إلى أنفسنا (الأفضل) (أنفسنا)

والشركة مهما كانت منشأتها فهي بحاجة إلى التسويق (كان منشؤها)

تكشف الأمثلة السابقة عن خلل واضح في مستوى الصياغة اللغوية للمشتق، فاستعمال (مقنعة) بدلاً من (مقتنعة) يدل على عدم إدراك مستعمل اللغة الفرق بين دلالتي اسمي الفاعل(مُقنع، مُقتنع) فكلاهما صيغة واحدة(اسم فاعل) لفعلين مختلفين (أقنعَ، اقتنعَ) ومعنيين مختلفين (أقنع غيره، اقتنع بغيره). **والمثال الثاني** يدل على جهل بقاعدة التفضيل، ظهر من خلال إضافة حضارة (بصيغتها المفردة) بدلاً من الحضارات، أو كان متاحاً أن تحذف (مِن) بحيث تكون الجملة (الحضارة العربية أرقى وأجمل حضارة).

وكذلك الأمر بالنسبة للمثال الثالث، إذا يكشف خطأ الاستعمال عن ضعف في انتقاء المشتق الملائم للجملة، فهو هنا اسم التفضيل، ويبدو أن المستعمل لا يكترث بالنظر إلى مجمل جملته ويكتفي بالنظر القاصر إلى تعبير لفظي يقصده، دون نظرة أفقية أوسع إلى بقية أجزاء عبارته لتحديد ملاءمة الصيغة الاشتقاقية سائر العناصر، فهو يقصد معنى (الفضل والأفضلية) ويجده معبراً عما يريد، ولكنه لم يتجاوز هذه الخطوة إلى أخرى تحدد ثوب المعنى من بين أثواب صياغية كثيرة (مشتقات لفظ فَضْل) وتنتقي واحداً هو الخيار الصواب لا غير، وكذلك الأمر بالنسبة (لنفسنا) إذا لم يكترث المستخدم لضرورة الجمع، واكتفى بالمفرد توهماً بتأديته الغرض. ولا يبتعد المثال الأخير (استعمال منشأتها بدلاً من منشؤها)،عن مسألة الخلط والتخبط بين أنواع الصياغات الاشتقاقية والاكتفاء بما ينقل المعنى بأي شكل كان، وهو اكتفاء يدل على

جهل بطبيعة اللغة العربية والأهمية البالغة للاشتقاق والفروق الدقيقة بين معاني المشتقات، ويبدو أن الازدواجية بين العامة والفصحى تكون أحياناً- مسؤولة عن إحداث هذا الضعف عندما لا تكون فيها الاستخدامات ذاتها في الفصحى.

ثالثاً: إغفال نظام الربط الجملي والاكتفاء بإنشاء أطراف الجُمَل دون النظر الشمولي إليها

على الرغم من وضوح المقصود بالجملة التامة، إلاّ أن إنشاءها في الممارسة الكتابية بات أمراً شائكا، وكأن من يكتب لا يكترث لقالب جملته ويكتفي بصياغة سريعة تؤدي الغرض- حسب ظنه- وتترك القارئ في حيرة من أمره وعليه أن يجتهد في التشذيب والتعديل قدر ما يستطيع لتبدو العبارة متسقة أمامه، وفي بعض الأحيان تبتدئ الجملة وإذا بها تسترسل بلا تمام، كما في: (من هموم المجتمع وظواهره السلبية التي تهدم أركانه، هذه الأركان المسؤولة عن انسجامه واستقراره، فمجتمعنا يعاني من العنف الجامعي).

وكثيرة هي مثائل هذه الجملة التي تعد مشروعاً مفتوحاً بلا نهاية، ومن الواضح أن الكاتب غافل عن فكرة الإسناد، الأساس في إقامة الجملة بغض النظر عن نوعها اسمية أو فعلية.

ومن جانب آخر فإن انصباب الاهتمام على جزئية من الفكرة مع التسرع وغياب القارئ عن ذهنية الكاتب – كل هذا يفرز نماذج من الجمل تتضمن تكراراً غير موظف، ومثال ذلك:(فالذي حصل في جامعتنا (فإنه) لا يدل سوى على الحقد والتخلف، فالعنصرية تؤدي إلى الكثير من المشاكل مثل العنف والعدوانية، وهذه المشاكل تؤدي إلى شعور الأفراد بعدم الراحة بسبب هذه المشاكل).

كما قد يؤدي انصباب الاهتمام على المعنى، دون عناية بهيئة الجملة وتركيبها إلى مصادفة جمل من مثل:

لأننا جميعا مهما الاختلافات من طين(مهما كانت الاختلافات).

عندما تدرس لغة جديدة هي ميزة لك (فهي ميزة لك).

لكل شيء في الحياة له سلبيات وإيجابيات (حذف له).

وتجنب التدخين يجب على الدولة منع استيراد الدخان (وتجنباً للتدخين).

فهذه الأمثلة تكرس الاعتقاد بمدى الاستهانة بالبناء الشكلي للجمُل والتأثر بالنمط التداولي الجديد للغة، الذي يشيع في وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة، وهو نمط تمتزج فيه العامية بالإنجليزية وتنأى كثيراً عن سمت الفصحى وركائزها، ويغدو من الصعب على مستعمل اللغة أن يتخلص من تأثير هذا النمط لدى كتابته، فانصياعه لتأثيراته يستهلك ساعات من وقته يومياً إرسالاً واستقبالاً، وأما كتابته بالفصحى فتمثل قطرة في بحر لجيّ، كأن يطلب منه كتابة مقالة بالفصحى في مادة تعليمية باللغة العربية مثلاً.

وتمثل الجمل السابقة نماذج من ركاكة المستوى، تارة بزيادة غير مبررة في اللفظ وتارة أخرى بتكرار أو بنقص، ولعل هذا مرتبط بالنظر المكتفي بجانب من التعبير دون غيره، وطرف من العبارة دون بقيتها، ويفسر هذا المسلك بعدم الاهتمام وضعف السوية اللغوية والتسرع.

رابعاً: ركاكة مصدرها التوهم وضعف الألفة بالفصحى:

لننظر في هذه النماذج من المقالات عينة الدراسة:

ولكن عندما وصلنا للخزنة قد (بدأت) علينا ملامح التعب (بدت) .

أريد أن أزور جميع مناطقتها (مناطقها).

ولكن مخارجها محصورة في نطاق أطيق.

فيصبح الطالب يؤد عمله..... (يؤدي).

وأتعرف على جميع (ثقافتها و مناطقتها) (ثقافاتها ومناطقها جميعاً).

سنقوم بذلك إنشاء الله(إن شاء الله).

يقود التوهم إلى استبعاد خيارات لغوية واستبدل أخرى بها، ظناً أنها الأصح والأفصح، ومثال ذلك توهم المستعمل أن (بدأت) هي الأفصح، بينما يدل المعنى على أنه كان يقصد (بدت) بمعنى ظهرت، ويبدو أن وجود الهمزة في (بدأت) أظهر له اللفظ بسمت فصيح، فكان أن توهم وانتقى خياراً أضعف في الدلالة على المعنى المطلوب.

وكذلك أدى التوهم إلى عدّ (مناطقتها) أكثر فصاحة، يسند هذا التوهم ضعف الألفة بالفصحى وندرة التعرض إليها سماعاً وتحدثاً وقراءة وكتابة، فكان أن صيغت هذه الكلمة المختلة بين صيغتي المفرد والجمع، ثم قيس عليها (ثقافتها) والمقصود ثقافاتها.كما أن من مظاهر السطحية في التعامل مع اللغة وشحّ الإحساس بالمعنى بها استمراء تركيب من مثل (إنشاء الله) دون أدنى توقف عند المعنى الذي يقدمه هذا التركيب المدمج خطأ من دلالة مغايرة جداً للمقصود.

وتلعب الازدواجية بين العامية والفصحى دوراً في ترجيح غير واعٍ لانتقاءات عامية مخلة بأحد أنظمة اللغة صوتياً أو صرفياً...ومن ذلك التخبط بين صوتي الضاد والظاء أو توهم حذف الياء من (يؤدي) على الرغم من عدم سبقه بجازم.

خامساً: الجهل بدور الروابط والضمائر الشائعة: على الرغم من أن الوقوع في بعض الأخطاء أمر حاصل في المعتاد، إلاّ أن حدوثه في ما يتعلق الأساسيات والقواعد الشائعة المتداولة يشير إلى خطورة أكبر، فنوع الخطأ له أهمية بالغة في الحكم على مستوى الأداء .وتعد الروابط من أجزاء الكلام التي تقوم بدور في الربط والتنظيم، وعدم إدراك دور هذه الروابط ينقل مهمتها إلى إرباك النظم وتعثر الدلالة، ومن ذلك نماذج جاءت في كتابات الطلبة مما يدل على ضبابية في فهم مهام الحرف وأدواره.

بعد أن نشأت هذه الظاهرة في الجامعات ممكن أن لجأ لحلها بتربية الأطفال منذ الصغر...(يمكن أن نلجأ).

من هموم المجتمع برأي أهمها العنف (في رأيي).

فأنا أكون في قمة السعادة و(أن) أتعلمها. (وأنا).

ثمة ضعف يتضح في عدم الربط بين زمن الفعل والحرف (الرابط) الذي يسبقه، فكان من المهم عند الكاتب أن ينفي، وقد ظن أن النفي متاح بمجرد إدخال أداته، دون معرفة بالارتباط بين الأداة والفعل زمنياً.

وفي المثال الثاني دلّ الخطأ على جهل بالفرق بين الياء في (رأي) والضمير المضاف إليها (رأيي). وخفي الأمر على الكاتب، فاكتفى بياء واحدة كما غاب في المثال الأخير التمييز بين (أنا) وأن، ولعل للجانب النطقي الصوتي انعكاساً في تقصير الألف في (أنا أتعلمها) وكتابتها بما يمثل نطقها باختلاس للألف أوحى بحذفها، ولا سيما أن ضعف السوية اللغوية يشكل عاملاً في استساغة الخطأ وقبوله، إذ إن الكاتب لا يمتلك الحس اللغوي الذي ينوه بذلك لدى وقوعه.

سادساً: انقياد الرسم الكتابي للإشباع الصوتي: لا تفسر بعض الأخطاء اللغوية الكتابية أحياناً إلا باستحضار النطق الصوتي لبعض التراكيب، التي يتوهم – لدى الكتابة- أنها معبر عنها كتابياً، ومن ذلك :

التدخين هكذا أصبحه (أصبحَ)

كبرتو وعشت بها (كبرتُ وعشت فيها)

هذه الأخطاء وما شابهها تعكس كاتباً غابت عن ذهنه الفروق الأساسية بين نظامي الكتابة والنطق في العربية، وهما يتقاطعان أحياناً على الرغم من كثرة توازيهما.

تراكيب وأخطاء لغوية لدى طلبة المساق اللغوي الثاني (المتقدم)

أولاً: أخطاء يفسرها الجهل بقواعد نظرية العامل

لنظرية العامل أهمية بالغة في تأطير النظام النحوي للغة، والعمل في النحو "محاولة لتعليل التغير الشكلي الذي يعتري الكلمة وفق تغير أوضاعها "[(1)].

([1]) عمايرة، إسماعيل: بحوث في الاستشراق واللغة، دار وائل –عمان، ط1، 2003: 312.

ومما يشيع من أنماط كتابية لا تأبه بنظام هذه النظرية في لغة الصحافة من نحو:

تقدم كبير أحرز الفريق

سؤالان طرح المدير حول الموازنة

عدد من السكان المخالفين أنذرت البلدية

وكان ينبغي- وفقاً لنظرية العمل- أن يقدم النصب على الرفع فيقال: (تقدماً كبيراً أحرز الفريق، سؤالين طرح المدير، عدداً من السكان أنذرت) إذ إنه عند اجتماع عاملين أحدهما لفظي والآخر معنوي، فالعامل اللفظي هو الذي يعمل – وإن كان ضعيفاً فهو أقوى من العامل المعنوي، فأن يكون منصوباً بفعل مقدر أولى من أن يكون مرفوعاً بالابتداء.[1]

ثانياً: إغفال الفروق اللغوية الدقيقة في الاستعمال: على الرغم من تحقيق الكتابة في المستوى الثاني درجة معقولة جداً من حيث وصول الرسالة الإبلاغية، إلا أن بعض علامات السؤال تجول حول عدد من التعبيرات: هل هي المقصود أو كان على مستعمل اللغة أن يجد البديل؟ فعلى الرغم من وصول الرسالة المبتغاة، إلا أن هيئة الوصول أحياناً لا ترقى إلى تجاوز التبليغ العام، مع غياب التفاصيل والنقاط على الحروف التي كان من شأنها أن تؤدي المعنى بأدق الصور. ومن أمثلة التبليغ الجزئي للرسائل الكلامية:

فسأله : ألن تكرر المحاولة؟

نعم: سأكررها

وإن اللغة العربية ذات سعة وقدرة على تحقيق الهدف اللغوي تماماً، بلا زيادة أو نقصان أو لبس، وقد اقترب التعبير من الإثبات إن جاء جواباً للنفي بـ(بلى)[2] وأما (نعم) فتأتي إثباتاً وجواباً عن سؤال غير مقترن بالنفي.

استعان بأخيه وصديقه ولكنه في المرتين خُذِل

إن نجحت فلك عندي مفاجأة

إذا كانت الخسائر كبيرة فسيعوضك الله

هل ينام المسؤول والمشاكل تملأ الدنيا؟

إن هذه الأمثلة تعبر عن مستوى لغوي لم يتمكن من اللغة حد التحقيق الأعلى لمراد القول، فهي تترك القارئ أمام خيارات مفتوحة، والحقيقة لن القارئ بسيط المستوى اللغوي أن يحتار في شيء إذ هو لا يلتفت أصلاً إلى احتمالات المعنى ودرجة إتقان الكاتب، وأما القارئ المتمرس باللغة فهو من يحتار: هل بالفعل قُصد هذا الخيار أو ذاك؟ فربما أوحى له السياق العام، أو تركيب في جملة سابقة أن ثمة بديلاً آخر كان ينبغي استعماله، لتكون العبارة أدق، ولا يستوى المعنى بصورة أجلى فاقتران الخافض (الباء)[3] بالمعطوف دون المعطوف عليه يدل على استعانة بالأخ والصديق معاً، ويفهم من السياق أنه استعان مرة بأخيه ومره بصديقه فكان الأولى أن يُقال: استعان بأخيه وبصديقه.

ويبرز المثالان الثاني والثالث أن استعمال (إن وإذا) جاء جزافاً دون الالتفات إلى الفرق، فـ(إنْ) تستخدم لما فيه احتمال وشك، وأما (إذا) ففيها جزم، ويتضح أنم من الملائم القول (إذا نجحت) لتحقق البعد التواصلي المطلوب، فاللغة وفق استخدامها الجزافي هذا يفقدها ميزات التواصل الإنساني بأبعاده النفسية والسياقية والاجتماعية، واستعمال(إذا) يحمل دلالات التلطف والتفاؤل خلاف (إن) المشككة. وكذلك فإن الأفضل القول: إن كانت الخسائر كبيرة فسيعوضك الله، بالتشكيك في كونها كبيرة وأما (إذا) فهي تجزم بكونها كذلك.

([1]) الخوام، رياض حسن: نظرية العامل في النحو العربي تقعيده وتطبيق ، جامعة أم القرى، من منشورات مجمع اللغة العربية على الشبكة العنكبوتية، 2014 :52.

([2]) المرادي، أبو محمد: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت،1992 : 61/1.

([3]) ينظر أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، 2010:2/317.

وأما الجملة الأخيرة فـ(هل) فيها لا تؤدي دلالة الاستنكار والتوبيخ التي تؤديها الهمزة لو حلت محلها، فالهمزة تحتمل من معاني التقرير والعتاب والتوبيخ ما لا تحتمله هل[1].

ثالثا: حضور التوكيد في غير حاجة : تنوعت وسائل العربية في التعبير عن التوكيد، فمن الحروف المؤكدة: إنّ وأنّ، وقد، ونون التوكيد، والمفعول المطلق والتوكيد بنوعيه اللفظي والمعنوي..... والتوكيد له مواطنه التي يحتاج معها المعنى إلى مزيد من التقوية والتمكين، ولذلك فإن علم المعاني استفاد من وظائف التوكيد لتصنيف منازل التعبير عن معنى واحد بفروق توكيدية متفاوتة .[2] فكثيراً ما تصادفنا إنّ وأنّ وغيرهما من أشكال التوكيد دون أن ندرك الأهمية التي أضافتها، في سياقات تبدو ليست بحاجة إلى التوكيد، فليس المستمع منكراً أو جاحداً وليس الخبر في ذاته عجباً عجاباً لا يصدق دون توكيد. وأمست كثير من البدايات لا تفارقها (إنّ)، لحاجة ولغير حاجة، وكذلك (قد) قبل الفعل، لعل هذين الحرفين أكثر صور التوكيد إفراطاً في الاستعمال نسبة إلى بقية أشكاله[21].

رابعاً: الزيادة غير المسوغة

هذه هي حقوق الإنسان والتي ينبغي الحفاظ عليها. (زيادة الواو)

سوف لن يختار طريقاً آخر. (زيادة سوف)

في تخصصنا درسنا مواضيع مختلفة، وهناك استفدنا كثيراً. (زيادة هناك)

الرسوم التي تمت إضافتها. (التي أضيفت).

فالزيادة في الجمل السابقة هي من باب الحشو الذي يرهق العبارة ويتنافى مع طابع العربية البلاغي، الذي يعد التعبير الموجز شكلاً للإجادة وصورة لقوة البيان.

والإضافات غير المبررة تنم عن جهل بطبيعة الاستعمال الصحيح حيناً، فحين جاءت (سوف) إلى جانب (لن) دل هذا على جهل بتضمن (لن) إبلاغا عن المستقبل، بما يغني عن (سوف) وقد يكون مردّ الخطأ حيناً آخر التأثر بالترجمة عن الإنجليزية في (هناك) التي يعدّ استعمالها الخطأ من باب النقل عن الإنجليزية في (there).

خامساً: حذف العطف مع ضرورته

من الأساليب الشائعة في الكتابة المعاصرة حذف حروف العطف بين الأسماء أو الأفعال المتلاحقة، وهو نمط نجم عن التأثر بالإنجليزية

There are many books, papers ,magazines and notebooks

ونجد هذا الأسلوب يشيع في كتابات الطلبة الجيدة وحتى الممتازة منها:

يغدو الطالب متعلماً، متفهماً، واعياً لمتطلبات الحياة.

تحرك نحو مستقبله، تأمله، نسي متاعبه، وغدا في كامل همته.

كن متعاونا، متحملاً لمسؤولية تخصصك، مجداً، صادقاً.

فمن مقتضى الارتباط والتشريك في الجمل السابقة أن توظف الواو بين الأسماء أو الأفعال، ربطاً وعطفاً، وهذا النوع من الأخطاء ناجم عن الترجمة وتكرره هيأ له الشيوع وما عاد ينظر إليه بعين الجدية في العودة إلى نهج الصواب، مع أنه معلم مايز العربية عن الإنجليزية وسواها، ولا يؤمن هنا على ادعاء من يقول بالتخفف والاختصار، وخاصة أننا نشهد في المقابل

([1]) المرادي(2011)، الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوه، دار الكتب العلمية:341.

([2]) ينظر كلام الجرجاني، عبد القاهر عن التوكيد، دلائل الاعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، في الحديث عن بعض أحوال التوكيد: 677. فصّل القول هذه المسألة عكاشة (2013)، عمر في كتابه: تأسيسا لوعي لغوي مختلف: دفع دلالة التوكيد عن (أنّ) وأبحاث أخرى، ط1، عالم الكتب الجديد، إربد، الأردن.

توظيفاً للواو في غير مكانها في تعبيرات شائعة أخرى، كالقول(لا بد وأن تأتي، نجح وخاصة أن الامتحان كان سهلاً) فهذا من الإقحام الذي لا تلزم فيه الواو.

قراءة في المستوى الكتابي لطلبة المساقين

أولاً:- سبقت الإشارة إلى أن الكتابة تحتاج من المهارة والجهد اللغوي ما يفوق التحدث، فالقارئ يعتمد تماماً على المادة المكتوبة، وهي وحدها- ما ينقل الفكرة إليه، خلاف التحدث الذي يمتلك أدوات إضافية في التبليغ والإفهام عدا عن الرسالة اللغوية المحضة.

ويشير المستوى الكتابي لطلبة المساقين إلى فروق نوعية بينهما، فكلاهما تضمن هفوات ومواطن ضعف، إلا أن الملمح الأبرز في المستوى الكتابي للمساق الأول (الابتدائي) تضمن مواطن خلل وقصور مفضية إلى إعاقة في الإفهام أو ثقل في استخلاص المبتغى أو صور غير مكتملة لمراد الكاتب، فعندما تسقط (ال) التعريف، أولا يميز بين المشتقات، أو ينشئ مشروع عبارة غير مكتمل، فإن من شأن ذلك حتماً أن يربك القارئ ويدخله في مدارات التكهن بمراد الكاتب، وكذلك فإن لروابط الكلام الدور الأعظم في رسم الغاية الأدق، فالواو لها وظيفة و كذلك الفاء وإن ومن والخلط بين وظائفها سيسيئ – حتماً- إلى المضمون.

ويعكس الإشباع الصوتي المعبر عنه كتابياً في غير حاجة وجهاً، من وجوه الضعف اعتدناه من طالب غير ناطق بالعربية، وأما أن تكون أخطاء مَنْ لغته الأم عربية، فمعنى ذلك أن ثمة قصوراً كبيراً وضعفاً مستفحلاً. وهذا نمط من الأخطاء حديثٌ تفشيه، ومما يقود إلى الجزم بأنّ صراعاً يتعرض إليه مستوى الأداء اللغوي بالعربية، والقطب الآخر في الصراع هو العامية التي غدت تجتاح الكتابة في مواقع التواصل الاجتماعي، إضافة إلى المنافسة القديمة- التي زادت حدتها مؤخراً - مع الإنجليزية.

ففي نظرة عجلى إلى بعض مواقع التواصل الاجتماعي الشائعة نجد أن العامية هي الوجه الأجلى فيه، وتحتل الخيار الأول في انتقاء مستخدم اللغة، قرباً واستئناساً وسهولة، وتظل ملامح العامية التي يعَّبر ويُكتب بها تلقى ظلالها على النظام اللغوي الفصيح في المواطن المحدودة التي يحتاج فيها إلى الكتابة بالفصحى.

وعلى الرغم من أن الازدواجية بين العامية والفصحى ظاهرة قديمة حديثة، إلا أن سطوتها تضاعفت باكتساح العامية المتزايد للغة الإنترنت والبرامج الإعلامية المختلفة، هذه الوسائل الإعلامية وبرامج الترفيه شكلت عاملاً مهماً خذل المستوى الفصيح وانحاز إلى العاميات. (1)

والمتأمل في لغة التواصل عبر مواقعه الاجتماعية يفهم حدوث كثير من الأخطاء السابقة، كأن نكتب كما ننطق، ولو كان الصواب يستلزم غير ذلك، ولا نعتنى بالربط والتدقيق، ونسقط (ال) التعريف إن كانت شمسية (ادّار بدلاً من الدار) فالعامية وتمثلها في أغلب طرق التعبير لم يكن ليتوقف عند ذلك بل امتدت ظلالها لترزح على تفاصيل الأداء اللغوي الذي ينتظر أن يكون فصيحاً في مواطن، ككتابة مقالة أو تلخيص فكرة أو إنشاء رسالة.

ثانياً:- والوجه الآخر للعملة المسؤولة عند الانحدار الحاد في المستوى الكتابي هو الثنائية، وهي كذلك مشكلة قديمة، إلا أنها تفاقمت مؤخراً مع الاهتمام البالغ بالإنجليزية وغيرها من اللغات التي بدأت تدرس في الجامعات منذ عهد قريب، كالكورية والصينية والإسبانية والإيطالية وغيرها، مما زاد في سحب بساط الأهمية والقيمة من العربية أكثر فأكثر، وتأثير ذلك المباشر يلمس في نقصان الإقبال على دراسة مواد اللغة العربية، ولازم هذا اقتران المكانة الحضارية المتأخرة للعرب بلغتهم، وارتقاء المكانة الحضارية لشعوب اللغات الأخرى المنافسة.

---

(1)عمايرة (2002)، محمد: بحوث في اللغة و التربية ، دار وائل، الأردن، ط1.

ثالثاً:- بالنظر في أخطاء الكتابة في المساق الثاني (المتقدم) فقد تراجعت الأخطاء المتكررة في المساق الأول، وشاعت أخطاء من نمط آخر أقل خطورة، ومقياس الخطورة هنا هو القدرة على إيصال الفكرة، وهذا التباين النوعي يدفع السؤال إلى الواجهة: ما سبب هذا التباين؟ هل يعود إلى أن بعض الطلبة من المساق المتقدم درسوا مادة المساق الابتدائي وتعرضوا لقضاياها فارتفعت سويتهم اللغوية؟ ولكن نسبة هؤلاء لم تتجاوز (ستة) من (ثلاثين) طالباً في المساق الثاني، فأربعة وعشرون كانوا قد اجتازوا الامتحان دون حاجتهم إلى التسجيل في المساق الأول، وهذا يدفع إلى الاعتقاد بالدور الجزئي المحدود الذي تلعبه دراسة المساق السابق في تطوير أداء الطلبة.

ولدى النظر في الخلفية الثقافية والاجتماعية للطلبة وهي عامل مهم في إبراز قيمة اللغة وحضورها لدى الطلبة- ظهر أن ثمة تمايزاً في ذلك بين طلبة المساقين، وقد يثار سؤال هنا عن جدوى النظر في الخلفية الثقافية والاجتماعية في تفسير الضعف اللغوي وكثرة الخطأ ونوعه، إذ لم يشكل ذلك عاملاً التفتت إليه الدراسات اللغوية التي حللت الخطأ قبل سنوات من الآن، وأما في السنوات القليلة الأخيرة، فيبدو ومن المهم الالتفات إلى هذا العامل، فثورة الاتصالات امتدت وتجلت من سنوات إلى الآن، مع ما رافقها من دخول الإنترنت وتطبيقاته والأجهزة الذكية وتفعيل ذلك في كثير من الخدمات المتصلة بالعمل والتعليم والإنتاج والتسويق والإدارة والاتصالات ومظاهر الحياة الاجتماعية.

ومن المعلوم أن هذه الثورة تلازمت مع اكتساح الإنجليزية أولاً لوسائل التواصل الإلكترونية وبالتالي كانت مزاحمتها الثقافية للعربية، وكان تولد نمط من الأداء اللغوي المستغني عن العربية لصالح الإنجليزية وقد انسحب هذا التأثير على من تهيأت له الفرصة بدراسة الإنجليزية والتمكن منها، وهم في الأغلب في العينة المتناولة (المساق الابتدائي) من خرجي المدارس الأجنبية والدولية، هؤلاء الذين يعدون الإنجليزية لغتهم الأولى – تمكناً وأداء ثقافة ونظرة اجتماعية – مثلوا فريقاً عدده ثمانية عشر طالباً من الثلاثين في المساق الأول.

وأما الفريق الثاني المقابل للفريق المذكور، فهم طلبة ينتمون إلى فئة تلقت تعليمها المدرسي في مدارس تتبع المناطق الأقل حظاً من حيث الخدمات والبيئة، أو القرى، كان نصيبهم من الإنجليزية متواضعاً لا يمكنهم من اتخاذها أداة اتصال أولى، كما أن مستوى اللغة العربية لهم لا يرقى إلى التمكن والإجادة، فإن المخرج المتاح لهم في كتاباتهم واتصالاتهم عبر الشبكة العنكبوتية العامية، هو العامية فكانت العربية في مقالات هؤلاء الطلبة معبرة عن مدى حضور العاميات في مرجعياتهم الفكرية والثقافية.

وأما الطلبة في المساق الأكثر تقدماً فقد أسعفهم غير أمر في تجاوز الأخطاء الكبيرة لطلبة المساق الأول، منها دراسة بعضهم للمساق الابتدائي وزيادة معلوماته اللغوية وتحسن أدائه، ومنها – وهو العامل الأهم- حضور العربية في مرجعية أولئك الطلبة بشكل أقوى من الآخرين، فهم في منزلة وسطية من حيث التفات التعليم الذي تلقوه باللغة العربية إلى جانب قسط جيد من الإنجليزية، ولا يُدعى أن هذه الفئة كانت متميزة في التقييم الكتابي للمقالات، ولكنها فارقت المستوى الأول الضعيف بمسافة واضحة.

ومن الأمور الملحوظة في المقالات المدروسة عامة ندرة التعبيرات اللغوية والاصطلاحية إشارة إلى عدم التمكن منها وغيابها عن قاموس الطلبة عموماً، فعلى الرغم من شيوع تعبيرات واصطلاحات تخدم المعنى في إيجاز ومتانة، إلا أنها لم تكن حاضرة، وهذا جزء من الضعف اللغوي العام، فالطالب يشرح مراده بجملة كاملة، لأن المصطلح غائب عن ذهنه، كأن يقول: نعاني من ظاهرة أن المزاج يختلف من وقت إلى وقت حسب الأشخاص كان بإمكانه كتابة:(المزاجية)، وعن استفتاء الطلبة حول بعض التعبيرات والمصطلحات ندر من عرفها منهم على الرغم من شيوعها: (هيمنة، بالتوافق مع، استناداً إلى توأمة، مطرد، تناهى إليه، رجعية).

خلاصة: توصلت الدراسة إلى أن معالجة الضعف اللغوي عموماً، والكتابي خصوصاً يبدأ من حضور اللغة في ثقافة المتعلم منذ سن مبكرة، فمهما كان من قوة المناهج في الجامعات، أو توافر معلمين متميزين، فإن هذا لا يصلح من الأمر

سوى ما يكون من تعديل وتشذيب لأوراق الشجرة، وأما الجذور فتبدأ من ترسيخ للغة في ذهن المتعلم في المرحلة المدرسية، قيمة وحباً وأهمية وأداء، وأن لا يترك المجال لحلول اللغة الثانية محلها بحجة أنه متطلب عصري ملح، فلذلك أضرار ثابتة في محاربة اللغة بالحد من تداولها وإتقانها، وبالتالي الحد من القدرة على الابتكار والإبداع والإنتاج بها، فاللغة وسيلة سياسة واقتصاد وحياة، وهي الأداء المعبرة عن منجزات العقل ونمو الثقافة.

المراجع :

- توفيق (2014) محمود عبد الجواد: الواقع اللغوي في العالم العربي في ضوء هيمنة اللهجات المحلية واللغة الإنجليزية، رؤى استراتيجية، الموقع الإلكتروني: Strategicvisions.ecss.com
- خرما (2004)، نايف، مهارة التعبير الكتابي، تقديم عبد الرؤوف زهدي، دار المناهج.
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز ، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- حسان ، تمام، اللغة العربية مبناها ومعناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، بيروت.
- الخوام (1435)، رياض بن حسن، المساعد على المهارات اللغوية، من منشورات مجمع اللغة العربية على الشبكة العنكبوتية..
- الخوام (2014)، رياض بن حسن، نظرية العامل في النحو العربي، من منشورات مجمع اللغة العربية على الشبكة العنكبوتية.
- زيدان، جرجي، اللغة العربية كائن حي، مراجعة مراد كامل، دار الهلال، د.ت.
- أبو الرب (2005)، محمد، الأخطاء اللغوية في ضوء علم اللغة التطبيقي، دار وائل، ط1.
- السعدي (2012)، عبد الكريم، تنويعات لحنية على رؤى ملامح اللغة العربية، ط1، دمشق.
- الشايب، فوزي، محاضرات في اللسانيات، وزارة الثقافة، عمان، الأردن.
- الطاهر، ناعوس بن يحي، اللغة العربية وتحديات الازدواجية الواقع والحلول، شبكة الألوكة، الموقع الالكتروني.www.alukah.net
- عمايرة (2003) ، إسماعيل، بحوث في الاستشراق واللغة، ط1، دار وائل.
- عمايرة (2007)، حنان، الازدواجية والخطأ اللغوي، مجلة دراسات، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، مجلد34، عدد1.
- عكاشة (2013)، عمر، تأسيساً لوعي لغوي مختلف دفع دلالة التوكيد عن إنّ وأبحاث أخرى، ط1، عالم الكتب الجديدة، إربد، الأردن.
- عمايرة(2002)، محمد، بحوث في اللغة والتربية، ط1، دار وائل، الأردن.
- فريق العمل في مشروع الرصد اللغوي الإعلامي، صورة اللغة العربية في وسائل الإعلام والاتصال، ط1، 2014، اللجنة الوطنية الأردنية للنهوض باللغة العربية، عمان، الأردن.
- عمامرة (2007)، تركي، اللغة العربية وثقافتها من المحلية الى العالمية، الجزائر.
- القاسم (2006)، خالد بن عبدالله، العولمة وأثرها على الهوية، بحوث، الموقع الإلكتروني www.islamtoday.net
- المرادي (1992)، أبو محمد: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت،.
- الموسى (1984)، نهاد، مقدمة في تعليم اللغة العربية، دار العلوم للطباعة والنشر.
- الموسى (1984)، نهاد، الازدواجية في اللغة العربية ما كان وما هو كائن وما ينبغي أن يكون، ندوة الازدواجية في اللغة العربية، مجمع اللغة العربية الأردني.
- نصار (1984)، تركي، اللغة العربية ووسائل الإعلام، ندوة الازدواجية في اللغة العربية، مجمع اللغة العربية الأردني.
- عمايرة (1984)، ، محمد، الازدواجية اللغوية حوار حول الظاهرة، ندوة الازدواجية في اللغة العربية، مجمع اللغة العربية الأردني.
- ياغي (1984)، هاشم، عربيتنا الفصيحة والمرحلة الحاضرة، ندوة الازدواجية في اللغة العربية، مجمع اللغة العربية الأردني.
- المسدي (1986)، عبد السلام، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس.
- الياسري(2012)، عبد الكاظم، اللغة العربية في مواجهة البث الفضائي، اللغة العربية وتحديات العصر، ط1، مؤسسة دار الصادق، العراق.